# الغلامية في الدولة الاسلامية – دراسة تاريخية

أ.م.د. ورود نوري حسين الموسوي

جامعة القادسية/كلية التربية

**Worrod.noore@qu.edu.iq**

أ.د. يوسف كاظم جغيل الشمري

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية

**hum.yousif.kadhum@uobabylon.edu.iq**

**الملخص**

تعد ظاهرة وجود الغلاميات في المجتمع الإسلامي ظاهرة مستحدثة لم تكن موجودة سابقاً على خلاف باقي ظواهر التشبه بين الجنسين، ولعل العصر العباسي الأول كان له السبق بتسجيل هذه الظاهرة، والتي أوجدت لمعالجة مشكلة معينة إلا أن حل المشكلة المراد علاجها بإيجاد الغلاميات أصبح بحد ذاته مشكلة جديدة وذلك لان هذه الظاهرة قد انتشرت بشكل كبير واصبحت ذات اهمية في الدولة الاسلامية عامة وفي العصر العباسي خاصة.

**الكلمات المفتاحية** : الغلامية ، العباسية ، الخلافة، النساء

# Boyhood in the Islamic State, A historical study

Dr .Worrod.noore Hussein Al-Moussawi

Al-Qadisiyah University/College of Education

Worrod.noore@qu.edu.iq

Dr. Yousif Kadhum Jughail Al-Shamry

University of Babylon/College of Education for Human Sciences

hum.yousif.kadhum@uobabylon.edu.iq

Summary

The phenomenon of the existence of slave girls in Islamic society is a new phenomenon that did not exist previously, unlike the rest of the phenomena of similarity between the sexes, and perhaps the first Abbasid era had the first to record this phenomenon, which was created to address a specific problem, but the solution to the problem to be treated by finding slaves became in itself a new

problem This is because this phenomenon has spread widely and has become important in the Islamic state in general and in the Abbasid era in particular.

**Keywords**: Boyhood, Abbasid, caliphate, women

المقدمة:

مرت المجتمعات الإسلامية بعصور متعددة، وخلال مسيرتها التاريخية الطويلة طرأت عليها متغيرات عديدة وعلى جميع الأصعدة والمستويات، ولعل الصعيد الاجتماعي هو الاخر كان له نصيب بتسجيل متغيرات ومن هذه المتغيرات هي: التشبه والتنكر عند الجنسين في المجتمعات الإسلامية، ولا نزعم ان التشبه كظاهرة كان للمجتمعات الإسلامية قصب السبق في حدوثه والعمل به، بل ان التشبه بين الجنسين ظهر في المجتمعات السابقة للاسلام، ويمكن القول بانه من المتغيرات السلبية لا الايجابية، وكل متغير تقف وراءه ظروف عديدة منها عن رغبة واختيار وغيرها عن اكراه واجبار، كما ان لهذه الظاهرة نتائج وانعكاسات اجتماعية سلبية.

ولا بد من الاشارة هنا الى اهمية الموضوع، والذي يمكن وصفه بانه من الموضوعات المسكوت عنها، ولا ندعي تماما بان هذا الموضوع لم يكتب به احد من قبل، ولكن على الاقل يمكن القول بانه ان كتب عنه فان الكتابات التي تناولته قد اشارت اليه اشارات طفيفة وقليلة.

تم تقسيم البحث الى عدة عناوين، حيث وجدنا ان هذه المنهجية هي المناسبة لمثل موضوع البحث، واشرنا الى موضوع اسباب ظهور الغلامية، وانتشار ظاهرة وجود الغلاميات، وتناولنا طرق التشبه بالرجال التي قمن بها، كما اننا لم نغفل موقف الشرع من هذه الظاهرة، ووضحنا الاسباب التي ادت الى انتشارها.

اعتمدنا على منهجية تتبع النصوص ذات العلاقة بموضوع البحث، متجنبين قدر الإمكان عدم ذكر الكلمات الإباحية والتي من شانها ان تثير الجانب الجنسي، او التي من شانها ان تخدش الحياء وهي كثيرة، مع محاولة على الحفاظ على وحدة النصوص والفقرات الموجودة ومعناها الحقيقي المراد منه عند المؤلف، وبالتاكيد هذا العمل ليس من السهل القيام به، ومع اضطرارنا احيانا الى ذكر النصوص الصريحة للمحافظة على المعنى المراد منها، منطلقين من قاعدة: لا حياء في العلم، ونتمنى ان نكون قد وفقنا بذلك.

اعتمد على قائمة من المصادر المتنوعة منها: كتب التفسير، الفقه، وكتب التراجم والسير، وكتب التاريخ، وكتب الادب العربي، والمعاجم اللغوية، ولم يستغن البحث عن عدد من المراجع الحديثة.

**1- ظهور الغلاميات**

تعد ظاهرة وجود الغلاميات في المجتمع الإسلامي ظاهرة مستحدثة لم تكن موجودة سابقاً على خلاف باقي ظواهر التشبه بين الجنسين، ولعل العصر العباسي الأول كان له السبق بتسجيل هذه الظاهرة، والتي أوجدت لمعالجة مشكلة معينة إلا أن حل المشكلة المراد علاجها بإيجاد الغلاميات أصبح بحد ذاته مشكلة جديدة استمرت بالوجود خلال العصور اللاحقة لعصر الأمين العباسي، وباختصار فان الغلاميات أوجدتهن زبيدة (ت:216هـ/831م) لمعالجة رغبة ولدها الأمين، الذي اكتفى بالغلمان وانشغل معهم عن النساء، حتى ان والدته زبيدة خاتون خشيت أن لا يكون له عقب لإبتعاده عن النساء؛ لذلك اختارت مجموعة من الفتيات والجواري وعملت على قص شعورهن وتعميم رؤوسهن بالأقبية، وألبستهن المناطق[1]، ليقلدن الغلمان ويتشبهن بهم في الحركات والإشارات وغيرها، وكان عددهن 200 جارية أهدتهن لولدها الأمين بمناسبة عيد ميلاده، علّه يترك الإنشغال مع الصبيان والغلمان ويلجأ إلى الغلاميات، وهناك من ذهب إلى القول بأنه: عزف عن الوقع بالخصيان وقيل الغلاميات[2]، في حين هناك من قال بأنه جمعهن مع ما لديه من الغلمان والخصيان.[3]

مع ان الكثير من المهتمين بهذا المجال اشاروا الى ان الغلاميات اول من اوجدتهن زبيدة خاتون لولدها الامين، الا ان هناك اشارات تؤكد وجود مصطلح الغلامية قبل عصر الامين، واشار الخطيب البغدادي[4] الى ذلك بالقول: "... كانت لهارون الرشيد جارية غلامية تصب على يده، وتقف على رأسه، وكان المأمون يعجب بها وهو امرد، فبينا هي تصب على هارون من ابريق معها والمأمون مع هارون قد قابل بوجهه وجه الجارية، اذ اشار اليها بقبلة، فزبرته بحاجبها، وابطأت عن الصب في مهلة ما بين ذلك فنظر اليها هارون فقال: ما هذا؟ فتلكأت عليه، فقال: ضعي ما معك، علي كذا إن لم تخبريني لأقتلنك، فقالت: أشار إلى عبد الله بقبلة، فالتفت إليه وإذا هو قد نزل به من الحياء والرعب ما رحمه منه، فاعتنقه وقال: أتحبها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: قم فادخل بها في تلك القبة. فقام ففعل، فقال له هارون: قل في هذا شعرا ، فأنشأ يقول:

ظبي كنيت بطرفي  عن الضمير إليه

---

[1] المناطق: هو جمع نطاق، وهو ان تلبس المرأة ثوبها، ثم تشدّ وسطها بشيء وترفع وسط ثوبها وترسله على الاسفل عند معاناة الاشغال، لئلا تعثر في ذيلها، ويقال هو شقة او ثوب تلبسه المرأة ثم تشدّ وسطها بحبل، ثم ترسل الاعلى على الاسفل الى الركبة، ويقال للمرأة انتطقت او تنطقت اذا شدّت نطاقها على وسطها. ابن منظور، لسان العرب، 355/10.

[2] قرامي، آمال، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، بنغازي، 2007م، 429.

[3] مثنى، الحضارة الإسلامية، 54.

[4] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 183/10. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق الكبير، 330/33.

قبلته من بعيد فاعتل من شفتيه

ورد أخبث رد بالكسر من حاجبيه

فما برحت مكاني حتى قدرت عليه".

ولعل الخطيب البغدادي عندما اطلق مصطلح الغلامية ربما ناتج عن السحب التاريخي، اذ ان هذا المصطلح كان متداولا ومتعارف عليه ايام الخطيب البغدادي، والذي بدوره عندما تناوله بالحديث عن احد الجواري قال عنها: (غلامية)، او ربما ان مصطلح الغلامية بالفعل كان موجودا ايام خلافة هارون العباسي بالفعل، أي قبل عصر الخليفة الامين.

**2. انتشار ظاهرة الغلاميات في قصور الخلفاء والخاصة.**

تؤكد الروايات أن ظاهرة وجود الغلاميات انتشرت في بلاط الخلافة العباسية وامتدت إلى بلاد الشام ووصلت إلى الأندلس، واستمرت ظاهرة وجود الغلاميات في العصر العباسي كجزء من مكونات قصور الخلفاء العباسيين حتى سقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ/1258م، إذ لم تشر الدلائل التاريخية إلى القول بان أحد خلفاء بني العباس أنهى هذه الظاهرة في بلاط الخلافة العباسية، كما ان الأمر تعدى الخلفاء وأصبح الأمراء والقادة من الخاصة يعملون على اقتناء الغلاميات في قصورهم، وساعد إقبال الخاصة والميسورين على الاهتمام بهذه الفئة الاجتماعية الجديدة المستحدثة (الغلاميات) من قبل تجار العبيد الذين بدورهم عملوا على تطوير هذه التجارة الرائجة التي طلبها الذوات من الخاصة وأصحاب اليسار من أرباب الدولة، فعملوا على تدريب فئة من الجواري اللواتي اعددن أعداداً خاصاً وصنعن لهذا الغرض فأصبحن يحاكين الغلمان ويتشبهن بهم ويعملن على التنكر بأزيائهم وقص شعورهن كما يقص شعر الغلام[5]، ويرتدين العمائم والمناطق وقلدنهم بالحركات والانفعالات والمشي والتصرفات، بل وحتى الأسماء التي يتسمن بها أخذت بنظر الاعتبار فتسمين بأسماء الغلمان، مثل: قاسم وجعفر.[6]

وهكذا عمل أولئك التجار إلى إيجاد ما يطلب من قبل الخاصة وتهيئته بأفضل ما يمكن كما هو الحال الذي كان يعمل به التجار من إيجاد جواري يعددن أعداداً ثقافياً واجتماعياً للعيش بقصور الخاصة ويؤهلن بمؤهلات خاصة كالقدرة على قول الشعر ارتجالاً، ومعرفة طرق العيش في قصور الخلفاء ومجالسة الخاصة وندمائهم ومعرفة احتياجاتهم من قبل أولئك الجواري كالرقص والغناء، وطرق جذب قلوب الخلفاء وخواصهم إلى الدرجة التي كان التجار من خلال المواصفات الموجودة عند عدد من الجواري يكسبون الأموال الطائلة، كذلك الحال بالنسبة للغلاميات، فقد عمل أولئك التجار على إيجاد مصانع لصناعة

---

[5] قال الشنقيطي: "... واما كون حلق المرأة راسها تشبها بالرجال، فهو واضح، ولا شك في الحالقة راسها متشبهة بالرجال، لان الحلق من صفاتهم الخاصة بهم دون الاناث عادة". اضواء البيان، 189/5.

[6] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 429.

الجواري وتحويلهن من جواري إلى غلاميات، فليس كل غلامية تشبه الأخرى بل هناك تباين وتفضيل بين الغلاميات من قبل الخاصة وتوجههم بالرغبة إليهن، فأصبح الميل أكثر والرغبة إلى الغلامية التي تكون وافرة الارداف ومرتجّتها، وسبب ذلك يعود إلى رغبة الخاصة بالغلمان والخصيان الذين يتمتعون بهذه الخاصية، لذلك ومحاكاة لأولئك الغلمان فقد اهتم بالغلاميات التي تتوفر فيهن هذه السمات والمؤهلات تلبية لمتطلبات الخاصة.[7]

وبهذه الطريقة انتشرت ظاهرة الغلاميات وشاعت في قصور الخاصة وعلى جناحي الدولة الإسلامية مشرقها ومغربها، ومع أن هذه الظاهرة أوجدت أيام الأمين العباسي إلا أن المأمون يبدو انه كان من المغرمين والمولعين بحب الغلاميات، وبالتأكيد هذا التمسك بالغلاميات والتوجه إليهن ناجم عن حبه وولعه بالغلمان وللتعويض أو التغيير بأساليب المتعة والتلذذ فقد اتجه إلى الغلاميات وما يثبت ولع المأمون بهن هو قول عيسى بن ابان[8] الذي أشار لذلك فقال: "كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج... واقبل غلام لا نبات بوجهه[9] مغلف بالغالية[10] فسلم فقال: مرحباً فأجلسه على فخذه اليمنى. وأقبل آخر فقعد على فخذه اليسرى، فجعلت أنظر إليهما وإلى حسنهما... فقال: يا عيسى أنهما جاريتان اشتهيهما في زي الغلمان".[11]

من النص السابق يمكن القول بأن الخاصة من الخلفاء وأرباب دولتهم قد وصلوا إلى مرحلة من الملل من الحياة الروتينية اليومية فعملوا على إيجاد طرق ووسائل أخرى يغيّرون بها نمط حياتهم، إلا أن هذه الرغبة جاءت على حساب تنكر الغلاميات وتحولهن نفسياً وحركياً من الأنوثة إلى الذكورة ولم يكن هذا بالأمر السهل واليسير إذ هذا العمل أدى إلى حدوث حالة من المزاوجة الجنسية والنفسية.

**3. طرق تشبه الغلاميات بالغلمان.**

---

[7] عموري، المرأة في العصر العباسي الأول، 190-191.

[8] عيسى بن ابان: هو ابو موسى عيسى بن ابان بن صدقة، يعد واحدا من فقهاء اهل العراق، توفى سنة 221هـ/836م بعد رجوعه من اداء فريضة الحج وكان وقتها قاضيا على البصرة. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 11/ 158- 160 الترجمة رقم 5849.

[9] لم ينبت شعر لحيته وشاربه. الطريحي، مجمع البحرين، 189/4؛ الزبيدي، تاج العروس، 63/3.

[10] الغالية: نوع من انواع العطور. واول من سمى الغالية هو معاوية بن ابي سفيان عندما اهدي له عطرا فسال عن كلفته فذكر له فقال انها غالية. الراغب الاصفهاني، كتاب المحاضرات، 160/2.

[11] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية،.

نتج عن ذلك التشبه والتنكر والنجاح والإبداع فيه إرضاءً للأسياد إلى التباس الأمر على بعض الناس اذ أصبح من العسير والصعوبة التمييز بين الغلامية المذكر المتنكرة المذكرة والغلام المذكر، فأصبح الندماء يتوهمون بالغلامية المطمومة[12] بأنها غلام حقيقي، وفي ذلك قال أبو نواس:[13]

مذكرة مؤنثة مهاة أذا برزت تُشَبِّهها غلاماً

أفضى تشبه الغلاميات بالذكور من ناحية الملبس إلى التماشي مع تطور واختلاف نوع الملبس من عصر لآخر في تطور أو اختلاف يظهر على ملبس الغلمان فان الغلاميات يعملن على تقليده والتنكر فيه، بل والأكثر من ذلك فان الغلاميات لم يتشبهن بالذكور باللباس وحسب، بل عملن على تقليدهم بكل فعل يفعلونه وكل عمل يقومون به وكل نشاط يؤدونه، أي أنهن حاولن التمسك واللجوء إلى كل ما يربطهن بعالم الذكور والغلمان، محاولات الابتعاد عن كل ما يذكرهن بعالم الأنوثة، بل تنكرن لأنوثتهن، فكن يمسكن بالمناطق، تشبهاً بالذكور واقتراباً منهم، شديدات الاعجاب بالشطار[14]، فعملن على استبدال التاج الخاص بالنساء بالقلنسوة والعمامة الخاصة بالرجال، وقص الشعر بترك الذوائب[15] مسترسلة[16]، وبذلك يقول ابي نواس:[17]

تشارك في الصنع النساء وسلمت لهن ضروب الحلي غير المناطق

ومطمومة لم تتصل بذؤابةٍ ولم تعتقد بالتاج فوق المفارق

كما انهن عملن على خط الشوارب بالمسك والغالية، قصداً منهن لبلوغ غاية الرجولة والذكورة ومماهاة منهن للوصول إلى عالم الرجال الذي يعد الشارب من الرمزية له عن عالم النساء والأنوثة ودلالة ظاهرة واضحة على الذكورة ، فقال ابو نواس:[18]

---

[12] المطمومة: طم الشعر جزه او قصه. الطريحي، مجمع البحرين، 62/3.

[13] ابو نؤاس، ديوان ابو نؤاس، 258.

[14] الشاطر: الخبيث الذي خلعته عشيرته وتبرأوا منه. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، 65/2. ويقال خلع من الدين والحياء. ابن منظور، لسان العرب، 77/8.

[15] الذوائب: هي شعر الرأس المظفور. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، 151/2.

[16] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 430.

[17] الامين، أعيان الشيعة، 373/5.

[18] الامين، اعيان الشيعة، 357/5.

صور إليك مؤنثات الدل في زي الذكور

ارهفن ارهاف الاعنة والحمائل[19] والسيور[20]

أصداغهن معقربات[21] والشوارب من عبير

ومن النجاح الذي حققته الغلاميات بالتخفي والتنكر والتشبه بالغلمان ضد الذكور إلى الدرجة التي أصبح من الصعب كما ذكرنا سابقاً (التمييز بينهما)، ولكن الظاهر أن أغلبهن لم يستطعن التخلص مع التصنع والتمثيل من رغبات الأنثى بالتزيين والتجميل، فمع حرصهن على الاقتراب من عالم الرجال عن طريق التمثيل والتشبه، إلا أن الكثير منهن صبغن الشفاه بالحمرة واستعملن ضروب الزينة، وكان هذا العمل واحداً من الأمور التي تساعد على التمييز بين الغلاميات والغلمان.[22]

ومحاولة من الغلاميات للتقرب أكثر من الرجال فقد تقلدن السيوف وركبن الأعنّة وامتطينها واحتذين بالنعل وهذا يخص الزي الذي يتزيا به الرجال، وقلدن الرجال بحركاتهم فقطبن الجبين وأرخين الكم بدلاً من إمساكه، وإرخاء الأكم من عادة الغلمان باللباس مشرقاً ومغرباً، واستبدلت الغلامية الضرب بالدف وامتنعت عنه لأنه خاص بالنساء وأقبلت على استخدام الطنبور والضرب عليه لأنه يخص الرجال ومن الآلات التي يستخدمها المغنون لا المغنيات، ولعبت بالحمام، ولعبن بالألعاب التي يهتم بها الشطار من الغلمان مثل: النرد[23] والشطرنج[24] واللعبة بالصولجان[25] والمراهنة والمناطحة بالكباش[26] والمناقرة بالديوك[27] وغيرها من الألعاب التي يلعبها الرجال، قال ابو نواس بوصفهن بهذا الخصوص:[28]

---

[19] الأعنّة والحمائل: العنان للفرس. الجوهري، الصحاح، 2166/6. الحمائل: علاقات السيوف، والجمع الحمائل، وحمائل السيف لا واحدة لها وانما واحدها محمل. الجوهري، الصحاح، 1678/4.

[20] السيور: هي ما يقد من الجلد مفرده سير. الجوهري، الصحاح، 692/2.

[21] الأصداغ المعقربات: هو ما بين العين والاذن، ويسمى ايضا الشعر المتدلي عليهما صدغا، ويقال صدغ معقرب. الجوهري، الصحاح، 1323/4. ربما يقصد ان الشعر الذي ينزل على الصدغ وهو كثيف ملتو كذيل العقرب يسمى اصداغ معقربات. الرازي، مختار الصحاح، 190.

[22] قرامي، الاختلاف في الثقافة الاسلامية، 431.

[23] النرد: الكعب الذي يلعب به، ومن لعب بالنرد فكأنما غمس يديه في لحم الخنزير. الفراهيدي، كتاب العين، 22/8.

فما برحت تصرف فيه حتى حَكته في الفِعال وفي الكلام

وراحت تستطيل على الجواري بفضل في الشطارة والغرام

نعاف الردف تكريهاً وفتكاً وتلعب للمُجانة بالحمام

وأشارت قرامي[29] بما يتعلق بالدور الذي قام به أبو نواس باعتبار الأبيات الشعرية والقصائد التي ألقاها وما لها من دور فاعل في نقل معلومة تاريخية عما يتعلق بعالم الغلاميات بالقول: "ويعزى الفضل في التعريف بالغلاميات إلى أبي نواس فهو من أكثر الشعراء اهتماماً بهذه الفئة، إلا أنه اكتفى بوصف هيأتهن ولم يتعرض إلى أسباب إقبالهن على تقليد الرجال إلا نادراً وبقطع النظر عن مصداقية هذا الشعر، فأنه يعد وثيقة تاريخية أمدتنا بمعلومات حول ظاهرة تحوّل الجارية إلى غلامية، بيد أن هذا الشعر الذي قيل في الغلامية اقتصر على وصف جانب واحد، وهو الهيئة التي تميزت بها الغلامية ومن ثمة عدمنا مادة تصف شكل التهذيب الذي كانت تتلقاه الغلامية وطبيعة مشاعرها، وهي تعيش هذه التحولات، التي ترجح أنها كانت تتحملها دون ان يكون لها رأي فيما يلحق جسدها ومظهرها من تغييرات".

بالإضافة إلى كلام قرامي السابق الذكر يمكن القول هو ان ابا نواس كان الأقرب إلى الغلاميات ووصفهن بالنسبة إلى شعراء عصره لأنه كان مقرباً من الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم، هذا من جانب ومن

---

[24] الشطرنج: لفظ فارسي معرب، ويقال ان الشطرنج هو ميسر العجم أي ان اللعب به شبه بالميسر. ابن منظور، لسان العرب، 308/2، 298/5.

[25] الصولجان: بفتح اللام: المحجن، فارسي معرب. والجمع الصوالجة. الجوهري، الصحاح، 325/1. والصولجان عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب. ابن منظور، لسان العرب، 310/2.

[26] المناطحة بالكباش: نطحه كمنعه وضربه، اصابه بقرنه والنطح للكباش ونحوها، وقد انتطحت الكباش اذا تناطحت، والمتردية والنطيحة هي المنطوحة التي ماتت اثر نطحة. الزبيدي، تاج العروس، 235/4. مصدر ناطح من نطح بمعنى اصاب بقرنه، وتناطح الكبشان وانتطحا: اذا نطح كل منهما صاحبه. الشيخ الانصاري، كتاب المكاسب، 304/2.

[27] المناقرة بالديوك: يقال نقر الطائر الحبة ينقرها نقرا. ابن منظور، لسان العرب، 230/5. وهنا يقصد المناقرة هي اللعب والمراهنة عن طريق مناقرة الديكة بعضها لبعض وكانت هذه المراهنات موجودة في العصور الاسلامية. يراجع: متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، 254/2.

[28] ديوان ابي نواس، 374.

[29] الاختلاف في الثقافة الاسلامية، .

جانب آخر بالتأكيد كان لولعه وحبه للغلمان، ما جعله قريباً من الغلاميات اللواتي بطبيعة الحال أصبحن كالغلمان الذين يفضل أبو نواس العبث معهم؛ لذلك كان شعر أبي نواس يحمل مادة تاريخية بهذا المجال، ولكن شعره حول عالم الصبيان والذكور.[30]

امتازت قصور خلفاء بني العباس بكثرة الرقيق والغلمان والغلاميات الا ان نسبة الجواري والغلاميات كانت لها النصيب الاوفر بتلك القصور، وسجلت الجواري والغلاميات المنحدرات من ثقافات مختلفة، وتمكن من الحصول على الحضوة عند الخلفاء حتى اصبحن المتحكمات والمتنفذات بتلك القصور، وسلبن قلوب الخلفاء حتى تزوجوهن وانجبن خلفاء، فالمنصور امه حبشية، والهادي والرشيد امهما الخيزران وهي جارية رومية، وكانت ام الواثق رومية، ومن هذه الجواري من كن يعلقن الصلبان برقابهن، وكان قصر الامين يزخر بالحواري الغلاميات اللاتي يلبسن لبس الغلمان، وكثر الجواري المسيحيات بقصري المعتصم والواثق.[31]

اختلفت ثقافات الشعوب بقصة شعر رأس الرجل واختلفت الثقافة الواحدة بدورها من عصر إلى عصر بخصوص قصة الشعر لرأس الرجل، كذلك شعر رأس المرأة هو الآخر له حضور من ناحية التأثير والتأثر، ولعل الغلاميات اللواتي حاولن تقليد الرجال والغلمان عملن على مقاربة ومماثلة قصة شعر رأس الرجل، فصرن كالرجال من هذه الناحية، ونتيجة لولع وحب الخلفاء للغلاميات المطمومات الشعر، فقد انعكس ذلك على الحرائر وليس الجواري فقط من نساء وندیمات الخلفاء، فحاول بعض الخلفاء تعميم هذه الثقافة على نساءه من الحرائر وطلبوا منهن الاقتداء بالغلاميات المطمومات، وذلك عن طريق طم شعرهن وفي الملبوس أيضاً، وأن استسلمت بعضهن إلى رغبات أزواجهن من الخلفاء سواءً أكان هذا الامتثال عن رغبة منها وحباً لتقليد هذا الدور والتشبه بالغلمان من خلاله، او عن رهبة وخوف على بيتها وأطفالها أو الخوف من الخروج من النعيم والمكانة التي هي فيها، ولكن غيرهن أبت الامتثال لمثل هكذا طلبات وأبين إلا أن يبقين متمسكات بأنوثتهن ولو كلفهن ذلك مغادرة رغد العيش بقصور شامخة وسلطة وسطوة، ولو كلفها ذلك بيتها وزواجها، وقد ذكر الجاحظ[32] بهذا الخصوص رواية جاء محل ذكرها وهي: "... ووصفت للمتوكل [ت:247هـ/861م] ريطة بنت العباس بن علي فطلبها فحملت إليه فتزوجها، ثم سألها أن تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه، فأعلمها أن لم تفعل فارقها، فاختارت الفرقة".

من خلال ما تقدم من كلام حول الغلاميات لابد من القول بان هذه الفئة وهذه الظاهرة لم تكن منتشرة بين العوام، بل أوجدها الخاصة لأنفسهم وعاشوا ملاذها تغييراً لما تعودوه وكسراً للسائد من الملذات ومحاولة

---

[30] يراجع: ابو نواس، ديوان ابو نؤاس؛ النصوص المحرمة.

[31] ايوب، الانحرافات الكبرى، 491.

[32] المحاسن والاضداد، 138. ينظر: الزمخشري، ربيع الابرار، 181/2.

للتغيير وقد نجحوا بذلك ودليلنا على ما ذهبنا من القول هو بقاء هذه الطبقة كجزء من قصور الخلافة حتى نهاية العصر العباسي، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن القول بان الغلاميات اختلفن عن المترجلات باعتبار المصطلح الأخير كان له حضوراً في الأوساط الاجتماعية العامة والأول عند الخاصة.

**4- موقف الشرع الإسلامي:**

يعد الشرع الإسلامي الراصد والضابط والمنظم لحياة الأفراد والمجتمعات الإسلامية، ووضع ضوابط العيش التي يمكن من خلالها تنظيم حياتنا بشكل سليم، وخط الخطوط التي اذا تم تجاوزها فان ذلك التجاوز يعد في حالات معينة مسموحا ومباحا وحالات اخر مكروها وثالثة محرما وغير جائز العمل بها، لان القيام بالعمل المحرم من شانه التاثير سلبا على المجتمع برمته ناهيك عن التأثير على الشخص المخالف للقاعدة الشرعية الموضوعة، وظاهرة الترجل واحدة من الظواهر السلبية التي تصيب المجتمعات؛ لذلك وقف الشرع الإسلامي موقفه المصحح لها والراصد والمنبه لمساوئها، فوردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية مباركة ضد هذه الظاهرة، فجاء في الكتاب العزيز: "ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا"[33]، قال الاندلسي[34]: "وقيل تغيير خلق الله هو ان كل ما يوجده الله لفضيلة فاستعان به في رذيلة فقد غير خلقه... والفتاة اذا ترجلت متشبهة بالفتيان. وكل ما حلله الله فحرموه".

وقال تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"[35]، واريد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام[36]، وفي الحديث: "انه [النبي ص] لعن المترجلات من النساء، يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيآتهم، فأما في العلم والرأي فمحمود، وفي رواية: لعن الله الرجلة من النساء، بمعنى المترجلة" .[37]

وقال رسول الله (ص): "ثلاث لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق والديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال"[38]، وقال ابن الاثير[39]: "والمرأة المترجلة... هي التي تتشبه بالرجال في زيهم وهيآتهم فأما في العلم والرأي فمحمود".

---

[33] سورة النساء، الآية/119.

[34] تفسير البحر المحيط، 3/ 369.

[35] سورة الروم، الآية/30.

[36] الطبرسي، تفسير مجمع البيان، 195/3.

[37] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، 203/2؛ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 267/11.

[38]. النهاية في غريب الحديث، 203/2.

ولعن رسول الله ص: "... الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل..."[40]، لعن ص: "...الرجلة من النساء"[41]، وقال الصنعاني[42]: "...ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكره الرجلة".

ومن الأحاديث النبوية المباركة التي تنهى تشبه النساء بالرجال وتنكرهن بالملبس والفعال، ومنها:

قال ابن شيبة الكوفي[43]: "أنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال"، وقال أيضا: "... ولعن من النساء المتشبهة المترجلة"[44]، وقال: "المتشبهة بالرجال من النساء ليست منا ولسنا منها"، قال العيني[45] في باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالنساء: "... ويدل على ذلك ذكر اللعن في... تشبه النساء بالرجال مثل لبس النعال الرقاق والمشي بها في محافل الرجال ولبس الأردية والطيالسة والعمائم ونحو ذلك مما ليس لهن استعماله...".

5. العوامل التي ساعدت على انتشار الغلاميات.

ويمكننا القول ان العوامل التي ساعدت على استمرار وجود الغلاميات خلال العصور الإسلامية المختلفة هي :

1- الرغبة عند الخاصة الذين لم يتركوا نوعاً من أنواع اللهو إلا فعلوه، فمالوا إلى والخروج عن المعتاد الذي عاشواً فيه، فوجدوا انفسهم موضع لوم وعدم رضا ممن كانوا يستطيعون توجيه اللوم إليهم، فلجئوا

---

[39] ابن حنبل، مسند احمد، 134/2؛ النسائي، سنن النسائي، 80/5؛ ابو يعلى، مسند ابي يعلى، 409/9؛ الطبراني، المعجم الكبير، 233/12؛ المعجم الاوسط، 51/3؛ المتقي الهندي، كنز العمال، 34/16.

[40] ابن حنبل، مسند احمد، 2/ 325؛ الطبراني، المعجم الاوسط، 296/1؛ النسائي، السنن الكبرى، 379/5؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، 63/13؛ العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، 144/2؛ الشوكاني، نيل الاوطار، 117/2.

[41] المناوي، فيض القدير، 327/5؛ الشوكاني، نيل الاوطار، 2/ 117.

[42] المصنف، 488/7؛ الهندي، كنز العمال، 697/6، 384/16.

[43] عبد الله بن محمد بن عثمان (ت:235هـ/850م)، المصنف، تحقيق: سعد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م، 236/6 .

[44] فيض القدير، 343/5.

[45] عمدة القاري، 41/22.

إلى استحسان وجود الغلاميات في قصورهم وقربوهن وجعلوهن مصدر لإشباع رغبتهم، وبالتأكيد مثل هذا العمل يدلل على محاولة الاختفاء وراء ممارسة الهو وإشباع اللذة مع بالغلاميات.

2- رغبة تجار العبيد في الحصول على الربح الوفير من الخاصة من خلال إيجاد هذا النوع من الغلاميات وصناعتهن وتدريبهن على تمثيل هذا العمل من التنكر والتشبه بالغلمان وبالفعل قد حقق تجار العبيد ذلك الهدف وقد نجحوا في تدريب الغلاميات التدريب الجيد.

3- رفض الكثير من الجواري الرغبة في التشبه بالغلمان حرصاً منهن على نيل الحظوة والتقرب من الخلفاء والمحافظة على المكانة القريبة من الخاصة والتقرب من مصدر القرار في الدولة للتمتع بالسلطة والسطوة والتأثير على الخاصة.

4- خوف نساء الخلفاء والخاصة من الهجران من قبل أزواجهن إن لم يتشبهن بالغلمان، إذ أن بعضهن طلب إليهن من قبل الخلفاء والتشبه بالغلمان وان لم يتمثلن لذلك فسيؤول ذلك إلى الطلاق والهجران وخسارة الأسرة والعيش الرغيد في القصور.

**النتائج**

من خلال ما تم تثبيته بطيات البحث يمكن استنتاج ما ياتي:

1- ظهرت العديد من المظاهر السلبية في المجتمعات الاسلامية، ومن هذه المظاهر ظاهرة الغلاميات.

2-كان للمنظومتين الفقهية الموقف الرادع والصلب المضاد لمثل هذه الظاهرة باعتبارهما من الامراض الدينية والمجتمعية، فصرحت الآيات القرانية والاحاديث النبوية المباركة بعدم جواز القيام بذلك ناهيك عن موقف المجتمع الناضر لتلك الفعال النظرة الطاردة والنابذة، الا ما كان من ذلك الفعل جواز القيام به، كالتشبه المسموح به بالملابس.

3-كان من اسباب استحداث هذه الظاهرة محاولة القضاء على عمل كان يقوم به الخليفة العباسي الامين وهو انشغاله بالغلمان دون النساء، ولكن محاولة العلاجهذه التي قامت بها والدته زبيدة خاتون انقلبت بالضد حيث اضافة بفعلها هذا ظاهرة مرضية جديدة عمت قصور الخلفاء والخاصة دهورا طويلة من الزمن.

4–تم بالمتابعة والتقصي للمصادر التاريخية والفقهية والادبية تحديد مجموعة من الحوادث التاريخية ذات العلاقة بالموضوع وبعض المواقف التي حصلت مع عدد من الخاصة كالخلفاء، والدليل على ذلك ما اشرنا اليه من حادثة الخليفة المتوكل وزوجته ريطة.

5–شجعت عوامل عدة على انتشار ظاهرة الغلاميات ولعل في اولوياتها ان الخاصة هم كان من يطلبهن، وهذا يعني ان العطاء سيكون سخيا ووفيرا لمن يجهز غلامية حسب المواصفات المطلوبة، واهتمت اسواق النخاسة بهذا النوع من النساء للفائدة المادية والنفعية.

**المصادر والمراجع**

ابن الاثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري (ت:606هـ/1209م).
– النهاية في غريب الحديث، تحقيق: محمود محمد الطناجي، ط4، مؤسسة اسماعيليان، قم، 1364ش.
الامين، السيد محسن.
– أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ت.
الشيخ الانصاري، مرتضى بن محمد امين (ت:1284هـ/1867م).
– كتاب المكاسب، تحقيق: مجمع الفكر الاسلامي، مؤسسة الهادي، قم، 1417هـ.
ايوب، سعيد.
– الانحرافات الكبرى، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ/1992م.
الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت:255هـ/868م).
– المحاسن والاضداد، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991م.
الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت:393هـ/1002م).
– الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1376هـ/1987م.
ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان (ت:739هـ/1338م).
– صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/1993م.
ابن حنبل، احمد (ت:241هـ/855م).
– مسند احمد، دار صادر، بيروت، د.ت.
ابو حيان القرطبي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت:745هـ/1344م).
– تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2001م.
الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت:463هـ/1070م).

– تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة السعادة، القاهرة، 1349هـ.

الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر (ت:721هـ/1321م).

– مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

الراغب الاصفهاني، ابو القاسم حسين بن محمد (ت:502هـ/1108م).

– كتاب محاضرات الادباء، المطبعة العامرية، القاهرة، د.ت.

الزبيدي، محمد مرتضى (ت:1205هـ/1290).

– تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر بن القاسم (553هـ/1158م).

– ربيع الابرار ونصوص الاخبار، تحقيق: عبد الامير مهنا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1412هـ/1992م.

الشنقيطي، محمد الامين بن محمد بن عبد القادر (ت:1393هـ/1973م).

– اضواء البيان، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، 1415هـ/1995م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت:1255هـ/1839م).

– نيل الاوطار، دار الجيل، بيروت، 1973م.

ابن شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد بن عثمان (ت:235هـ/850م).

– المصنف، تحقيق: سعد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ/1989م.

الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (ت:211هـ/826م).

– المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، منشورات المجلس العلمي، بغداد، د.ت.

الطبراني، القاسم سليمان بن احمد (ت:360هـ/970م).

– المعجم الاوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/1995.

– المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط2، دار احياء التراث العربي، بيروت.

الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن (ت:548هـ/1153م).

– تفسير مجمع البيان، تحقيق: لجنة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1415هـ/1995م.

الطريحي، محمد بن علي (ت:1085هـ/1674م).

– مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسيني، ط2، مكتبة نشر التفاهم الاسلامي، قم، 1408هـ.

الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت:175هـ/791م).

– كتاب العين، ط2، مؤسسة دار الهجرة، طهران، 1409هـ.

قرامي، آمال.

– الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، بنغازي، 2007م.

العجلوني، اسماعيل بن محمد الجراحي (ت:1162هـ/1748م).

– كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1988م.

ابن عساكر، ابو القاسم الحسن بن هبة الله الشافعي (ت:571هـ/1175م).

– تاريخ مدينة دمشق الكبير، تحقيق: د. علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ.

عموري، نهاد محمد.

– المرأة في العصر العباسي الأول، اطروحة دكتوراه دولة في الآداب غير منشورة، مقدمة الى جامعة القديس يوسف، بيروت، 1984م.

العيني، محمود بن احمد بن موسى بن احمد (ت:855هـ/1451م).

– عمدة القاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

متز، آدم.

– الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط2، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1377هـ/1957م.

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت:975هـ/1567م).

– كنز العمال في السنن والاقوال والافعال، تحقيق: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1409هـ/1989م.

المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت:1031هـ/1621م).

– فيض القدير شرح الجامع الصغير من احاديث البشير النذير، تحقيق: احمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت:711هـ/1311م).

– لسان العرب، دار احياء التراث العربي، قم، 1405هـ.

ابو نؤاس، الحسن بن هاني (ت:195هـ/810م).

– ديوان ابو نؤاس، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م.

– النصوص المحرمة، مطبعة رياض الريس للكتب، لندن، 1994م.

النسائي، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي (ت:303هـ/915م).

– سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، 1348هـ/1930م.

ابو يعلى الموصلي، احمد بن علي التميمي (ت:307هـ/916م).

– مسند ابي يعلى، تحقيق: حسين سليم اسد، دار المأمون، دمشق، 1407هـ/1987م.